

الانسحاب الأمريكي من العراق سنة 2011: دراسة في الأسباب والنتائج

حنان رزايقية

طالبة دكتوراه، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3

ملخص- تسعى هذه الورقة البحثية لإزالة الغموض حول موضوع الانسحاب الأمريكي من العراق وتداعياته على المنطقة، هذا الانسحاب الذي كان نتيجة حتمية لفشل السياسات الأمريكية المتبعة في العراق منذ سقوط بغداد وحتى الانسحاب العسكري الكامل لقوات هذا المحتل.

لقد كان للانسحاب الأمريكي من العراق نتائج وتداعيات وخيمة على العراق والشرق الأوسط والعالم بصفة عامة، لما خلفه من فراغ أمني كان فرصة لنمو وانتشار الجماعات الإرهابية خاصة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش"، هذه الأخيرة التي أوجدتها سياسة المحتل الذي هدم كل مقومات الدولة العراقية، ثم جاء الانسحاب ليجعلها تظهر بشكل لم يسبق له مثيل.

الكلمات المفتاحية: الاحتلال الأمريكي - العراق - الانسحاب - التداعيات

Abstract- This research paper tries to elucidate ambiguity about American withdrawal from Iraq and its consequences on the region, the withdrawal which resulted from the failure of the American policies followed in Iraq since the fall of Baghdad, and until the total military withdrawal of American forces.

The American withdrawal from Iraq led to catastrophic consequences on Iraq, the Middle- East and all the world, because of the resulting security void which constituted an opportunity to the spread of terrorism especially the organisation of the Islamic State in Iraq and Sham "ISIS", which resulted from U.S destruction of all the Iraqi State fundamentals, and which developed in an unprecedented way after US military withdrawal.

Keywords: American invasion –Irak –Invasion –Consequences

مقدمة

سعت الولايات المتحدة الأمريكية لاحتلال العراق بكل السبل والطرق الممكنة، وذلك لأسباب عديدة تصب في خدمة مصالحها في المنطقة، فكانت البداية بتحطيم قوته العسكرية في حرب الخليج الثانية تحت مبرر تحرير الكويت، ثم عملت على القضاء على قدراته الاقتصادية عبر فرض الحصار الاقتصادي لفترة طويلة، الأمر الذي أدخل العراق في حالة اقتصادية واجتماعية مزرية، وبهذا تكون الولايات المتحدة قد حققت هدفها بالقضاء على مقومات الدولة في كافة المجالات السياسية والاقتصادية، والعسكرية، وحتى الاجتماعية تمهيداً لاحتلال هذه الدولة ذات الأهمية البالغة. هذا الاحتلال الذي مثل قضية معقدة، ذلك بسبب ما آل إليه العراق من فوضى وانعدام للأمن نتيجة للسياسات الأمريكية المتبعة منذ أول يوم له في العراق إلى غاية الانسحاب العسكري بصفة نهائية، و جاء بعدما حققت الولايات المتحدة الأمريكية أهدافها في المنطقة وبدأت تتحول المكاسب إلى خسائر، خاصة في ظل المقاومة العنيفة التي أرغمت الإدارة الأمريكية على اتخاذ قرار الانسحاب، هذا القرار الذي كانت له عواقب وخيمة على العراق، خاصة فيما يتعلق بفتح المجال أمام الحركات الإرهابية لتظهر بشكل علني، تحت ما تم تسميته بتنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، هذا الأخير الذي كان نتيجة حتمية للفوضى واللا استقرار الذي زرعه الاحتلال الأمريكي منذ دخوله العراق.

بناء على ما تقدم، فإن هذه الدراسة ستحاول معالجة قضية الانسحاب الأمريكي من العراق، وتداعياته على المنطقة، وذلك من خلال الإجابة عن الإشكالية المطروحة في صيغة السؤال التالي:

ما مدى تأثير الانسحاب العسكري الأمريكي سنة 2011 من العراق على بناء واستقرار الدولة العراقية؟

والإجابة على التساؤلات الفرعية التالية:

- ما هي أسباب الانسحاب الأمريكي من العراق؟
- ما هي تداعيات الانسحاب الأمريكي من العراق؟
- كيف تم التعامل مع نتائج الانسحاب الأمريكي من العراق؟

I التواجد الأمريكي في العراق "مرحلة ما قبل الانسحاب"

حتى تتضح الرؤية حول أسباب الانسحاب الأمريكي من العراق بالرغم من أنها كانت تنوي البقاء أطول فترة ممكنة في العراق، لابد من التطرق أولاً وقبل كل شيء إلى حيثيات هذا الاحتلال وتداعيات سياسته في العراق.

لقد كان الغزو الأمريكي البريطاني للعراق في مارس 2003 والذي انتهى بسقوط نظام صدام حسين في 9 أبريل من العام نفسه تجسداً فريداً لحال النظام الدولي الجديد، إذ أن القرار المباشر بشن الحرب لم يتخذ من طرف مجلس الأمن الدولي وإنما من طرف الدول المحتلة (الولايات المتحدة وبريطانيا) (على خلفية قرارات سابقة للمجلس، بعد أن فشلت هذه الدول باتخاذ قرار صريح بشن الحرب بسبب مواقف فرنسا وروسيا والصين بالامتناع عن تأييد مثل هذا القرار. ففي 8 مارس، 2003 تقدمت

كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وإسبانيا بمشروع قرار إلى مجلس الأمن الدولي للتصريح باستخدام القوة ضد العراق، وتسبب مشروع القرار هذا في حدوث مواجهة حادة بين الولايات المتحدة وفرنسا، وهو ما أدى بهذه الدول المحتلة للجوء إلى السلطات التشريعية داخل بلدانها، لاستصدار قرارات بشأن الحرب وتأيد غزو العراق. كما استندت الولايات المتحدة وبريطانيا على قرار مجلس الأمن الدولي رقم 1441 الصادر في 8 نوفمبر 2002 والذي اتهم العراق صراحة بخرق قرارات الأمم المتحدة بشأن نزع أسلحة الدمار الشامل، هذا بالإضافة إلى أن إصدار القرار بشأن الحرب على العراق جاء في ظل حركات شعبية احتجاجية في العالم على هذه الحرب في شكل مظاهرات بلغت أقصى قوتها في الدول المساندة لقرار الحرب (الولايات المتحدة، بريطانيا، وإيطاليا، وإسبانيا،) ورغم أن قرار الحرب كان يهدد بحدوث انقسام سياسي بين أوروبا والولايات المتحدة، وبحدوث انقسام داخل أوروبا نفسها، وكذا داخل الحلف الأطلسي، فالولايات المتحدة كانت ترى أن هذه الحرب ضرورة حتمية على خط المواجهة الأول في الحرب ضد الإرهاب بدعوى امتلاك نظام صدام حسين لأسلحة دمار شامل تهدد الأمن الإقليمي والعالمي، ومن ثم فقد أصرت هذه الإدارة وحلفاؤها على شن الحرب، ولم تستطع لا الأمم المتحدة ولا الدول المعارضة للحرب ولا قوة الرأي العام العالمي أن تمنع وقوع الحرب¹.

لقد أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية أن هدفها من حربها على العراق هو القضاء على أسلحة الدمار الشامل في العراق، وكذا القضاء على الإرهاب، ونشر الديمقراطية وغيرها من التبريرات التي ثبت زيفها

(1) إبراهيم نوار، إبراهيم نوار، «العراق من الاستبداد إلى الديمقراطية»، القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2010، ص 78.

فيما بعد، فلم تجد الولايات المتحدة أسلحة دمار شامل في العراق، ولم تصبح العراق نموذجاً للديمقراطية في الشرق الأوسط، ولكن الذي حدث هو أنها زادت في حدة وشدة انتشار الإرهاب، ليصبح العراق نموذج الدولة الراحية للإرهاب وليس نموذجاً للدولة الديمقراطية كما كانت تدعي الولايات المتحدة.

II تداعيات الاحتلال الأمريكي على العراق

أنتج الاحتلال الأمريكي للعراق الكثير من التغيرات على صعيد التشكيلة العراقية وبنيتها السياسية، وكانت أبرز تداعيات الاحتلال الأمريكي للعراق ما يلي:²

• انهيار الدولة من خلال القضاء على كل مقوماتها وخاصة مؤسساتها الأمنية، الأمر الذي أدى إلى نشوء فراغ أمني، نتج عنه تدمير بقايا الدولة العراقية عبر عمليات السلب والنهب والتدمير.

• التعددية السياسية التي كشفت بعد الغزو الأمريكي - والتي شجعتها عن قصد الولايات المتحدة وحلفاؤها باسم تدعيم الديمقراطية والتي خلقت مشهداً سياسياً تعديداً، لكن من دون اتفاق على قواعد لمنع هذه التعددية من الانحدار إلى النزاع.

• إعلان الدستور الجديد الذي طرح فكرة الفيدرالية في سبيل تلبية طلبات الأكراد، بيد أن الدستور اعترف أيضاً بأن ثمة أجزاء أخرى من البلاد تريد كذلك حكماً ذاتياً أكبر في المستقبل. وفي مثل هذه الظروف، باتت

(2) لطفي حاتم، «الاحتلال الأمريكي للعراق وانهيار الدولة العراقية»، العراق: الجمعية الثقافية العراقية في الممو، 2007، ص 5.

لفكرة أقاليم الحكم الذاتي جاذبية لدى العديد من السياسيين السنة الذين باتوا مقتنعين بأنه لن يكون لهم أي نفوذ كبير في المركز، وبالتالي فإن هذه الفئات يمكن أن تمارس سلطة أكبر محلياً، إذا ما شكلوا أقاليمهم الخاصة، وهذا ما فتح المجال أمام العديد من الانقسامات السياسية والطائفية.

• نهوض قوى ومؤسسات اجتماعية/سياسية جديدة تسعى إلى شغل الفراغ الأمني السياسي الذي خلفه الاحتلال وانهيار الدولة العراقية.

• بروز الطائفية التي كانت سبباً في دخول الدولة العراقية في أزمة الحرب الأهلية لمدة سنتين.

• إن من أخطر النتائج المباشرة التي أسفر عنها الاحتلال الأمريكي للعراق هي انتقال عملية محو الدولة من حيز الاختراق الممنهج والمنظم للسيادة الوطنية وتجاوزها إلى حيز تحطيم أسس التعايش التاريخي بين الجماعات المؤلفة للسكان. لقد عاد العراقيون مع الغزو الأمريكي إلى طور ما قبل الدولة وإلى طور ما قبل الشعب، حيث ظهر ما يدعى بالمثلث السني المقاوم للاحتلال في الوسط، مقابل جغرافيا شيعية في الجنوب تم تكريسها كمناطق هادئة ومسالمة بفضل سيطرة الميليشيات التابعة لإيران، ومقابل وجود كيان كردي متحالف بشكل وثيق مع قوات الاحتلال في الشمال.³

(3) فاضل الربيعي، «الاحتلال الأمريكي للعراق: تكتيك الهروب من كابوس الشرق الأوسط الجديد: نتائج وتداعيات»، في آدم روبرتس وآخرون، الاحتلال الأمريكي لعراق صوره ومصائره، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005، ص 144.

لقد كانت الحرب الأمريكية على العراق ،مدمرة له بكل المعايير والمقاييس ،وذلك بسبب مختلف الإجراءات التي تم إتباعها والتي قضت على مقومات الدولة والمجتمع العراقي ،وأدخلته في دوامة من الاضطراب والتوتر والاستقرار اللامتناهي ،حيث عملت الولايات المتحدة الأمريكية على جعل العراق بؤرة للتوتر والصراع الطائفي الذي كانت له تداعيات كبيرة فيما بعد ،والذي كان سبباً أساسياً في ظهور وانتشار الإرهاب الذي وجد في الفراغ الأمني الذي يعيشه العراق فرصة للانتشار في المنطقة ،خاصة في ظل سياسات المحتل التي ساهمت في إذكاء الفتنة بين أبناء المجتمع العراقي .فالقرار المتعلق باجتثاث حزب البعث مثلاً أدى إلى حقد كبير من قبل أعضائه ،أدى إلى تحوله فيما بعد إلى كتلة إرهابية ،تتعامل مع تنظيم القاعدة ،ثم أصبح تنظيماً قائماً بذاته أطلق على نفسه تسمية تنظيم الدولة الإسلامية في العراق قبل خروج القوات الأمريكية .وبعد الانسحاب أصبح هذا التنظيم أقوى من ذي قبل ،حيث قام باحتلال الكثير من المناطق في العراق وامتد إلى سوريا مطلقاً على نفسه تسمية تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام ،وبذلك أصبح العراق نموذجاً يحتذى به لتدريب وتصدير الإرهاب العالمي وليس نموذجاً ناجحاً للديمقراطية كما تم الترويج لذلك من قبل المحتل.

صحيح أن أغلب الدراسات والبحوث العلمية ترى بأن الولايات المتحدة خططت للحرب أكثر مما خططت لما بعد الحرب ،خاصة وأن الصعوبة لم تكن في الاحتلال ،فالولايات المتحدة استطاعت احتلال العراق في زمن قياسي أذهل العالم ،إلا أن المتتبع للأوضاع والسياسات الأمريكية المتبعة في العراق يدرك جيداً بأن كل ما تم تبنيه في العراق تم التخطيط له بعناية من أجل القضاء على معالم الدولة العراقية وتفتيت المجتمع العراقي ،

وهو ما يمثل خطوة أولية نحو مشروع أكبر يتمثل في إعادة صياغة شرق أوسط جديد وفق الرؤية والمصالح الأمريكية.

وعلى عكس التوقعات الأمريكية في العراق، فقد أتاحت هذه السياسات الفرصة لتقوية الدور الإيراني في المنطقة، كما أتاحت الفرصة لروسيا لحل مشكلاتها الاقتصادية، هذا بالإضافة للخسائر المادية والبشرية التي منيت بها القوات الأمريكية والتي دفعتها للانسحاب من العراق. هذا الانسحاب الذي كان بمثابة عملية تحويل الهزيمة إلى نصر، لكن هذه السياسة قد فاقمت من المشاكل العراقية والتي أتاحت الفرصة لبروز تنظيم الدولة الإسلامية بشكل علني، هذا التنظيم الذي نشأ وترعرع نتيجة لسياسات الاحتلال، حيث جاء بداية في صالح أمريكي خاصة وأنه سمح لها بإعادة تركيز تواجدها العسكري في المنطقة بحجة محاربته، هذا بالإضافة إلى استغلال هذا التنظيم لتحقيق مصالح عديدة أخرى في المنطقة، إلا أن هذا التنظيم بدأ يهدد الولايات المتحدة وإن كان بشكل بسيط في هذه المرحلة و ظهرت إمكانية أن تتطور تهديداته لها على المدى الطويل خاصة في ظل تنامي العداء في هذه المنطقة للسياسات الأمريكية.

وفي هذا الصدد، يقول فاضل الربيعي «إن الغزو الأمريكي للعراق لم يكن نتاج حماقة شخص فحسب، أو غلطة نظام حكم لم يستجب لدعوات الإصلاح والديمقراطية، كما لم يكن نتاج أكاذيب وأخطاء في جمع المعلومات ارتكبها جهاز مخابرات أعظم دولة في العالم، ونشرت بطريق التساهل وانعدام الدقة والانضباط وهستيريا وجود أسلحة دمار شامل، أو نتيجة شعور غامض بوجود علاقة من نوع ما بين صدام والقاعدة، بل

كان تتويجاً لإستراتيجية اتضحت معالمها منذ السبعينات،⁴ وبهذا يتضح بأن ما تم تنفيذه في العراق ما هو إلا نتيجة لمجموعة من الاستراتيجيات التي تم التخطيط لها منذ فترة طويلة كما يوضح ذلك أيضا بوب وودوارد Woodward Bob في أغلب كتاباته حول العراق خاصة في كتاب «خطة هجوم» و كتاب «بوش محارب»، حيث يبين في هذين الكتابين بأن القضية العراقية كانت حاضرة دائماً في ذهنية صانع القرار الأمريكي، إلا أنه كان لا بد من فرصة مواتية حتى يتم تنفيذ هذه المخططات، وهو ما حدث فعلاً بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 حيث تم وضع العراق كهدف ثان بعد أفغانستان.

III السياق العام للانسحاب الأمريكي من العراق

لابد من الإشارة أولاً وقبل كل شيء إلى أن عملية الانسحاب الأمريكي من العراق كانت تحصيل حاصل، بمعنى أن هذا الانسحاب جاء نتيجة مجموعة من الممهدات التي دفعت الإدارة الأمريكية لاتخاذ هذا القرار، خاصة وأن إدارة بوش الابن كانت ترغب في البقاء في العراق أطول فترة ممكنة، إلا أن قرار الانسحاب جاء بشكل مبكر نتيجة الأخطاء الإستراتيجية التي ارتكبتها الولايات المتحدة الأمريكية في العراق، والتي سببت لها الكثير من الخسائر المادية والبشرية، وهو ما أدى إلى ضغط كبير على إدارة بوش الابن الذي عمل في نهاية المطاف على توقيع المعاهدة الأمنية في أواخر عام 2008 و التي تنص على جدولة الانسحاب بشكل نهائي في نهاية 2011.

(4) مرجع سابق، ص 147.

وبالتالي فالانسحاب فرضته ظروف البيئة العراقية، والضغط المختلفة داخل البيئة الأمريكية، فكان الانسحاب خياراً لا بد منه من أجل الحفاظ على ما تبقى لها من مصالح في المنطقة، ذلك أن الانسحاب خيار جيد بالنسبة لها أفضل من أن تكون مجبرة على الخروج من العراق بالقوة، وذلك بسبب عدم قدرتها على البقاء فيه بما يخدم مصالحها. إن تنظيم خيار الانسحاب بالتفاوض مع المقاومة العراقية ومع ضباط الجيش العراقي ومختلف الفواعل العراقية، يحفظ لها صورة حسنة نوعاً ما أمام الرأي العام،⁵ وهذا ما يؤكد قول بيار- جان لويزار « يبدو أن الأميركيين فهموا سريعاً، إزاء الفاجعة الماثلة أمامهم، أنه بات ينبغي عليهم فك ارتباطهم والانسحاب في أسرع وقت ممكن.»⁶

1. أسباب الانسحاب من العراق:

تتمثل العوامل الأساسية التي دفعت الإدارة الأمريكية للانسحاب من العراق فيما يلي:

- تقلص تأييد الشعب الأمريكي لوجودها في العراق، وتصاعد المطالبة بالانسحاب السريع.
- فشل العملية السياسية الأمريكية في العراق.

(5) محمد قجالي، «حرب الخليج الثانية بين أحكام القانون الدولي وتداعيات النظام الدولي الجديد»، (أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في القانون الدولي العام والعلاقات الدولية، جامعة الإخوة منتوري-قسنطينة، 2007/2008)، ص 404.

(6) بيار-جان لويزار، «العراق: عشرية من العنف (2003-2014)»، في برتران بادوي ودومينيك فيدال، أوضاع العالم 2015 الحروب الجديدة، ترجمة: نصير مرو، بيروت: مؤسسة الفكر العربي، 2015، ص 216.

- هروب بعض أعضاء الجيش الأمريكي من الخدمة في العراق، وكذا صعوبة تجنيد متطوعين جدد.
- انسحاب حلفاء أمريكا في الحرب العراقية - أغلب الدول المتحالفة معها.
- انخفاض شعبية بوش وصعود الديمقراطيين الذين سيطروا على الكونغرس مما خول لهم الضغط من أجل إصدار قرار الانسحاب.
- مطالبة الرأي العام العالمي والأمريكي بالانسحاب.
- زيادة تكلفة الحرب الاقتصادية، خاصة في ظل الأزمة المالية، حيث بلغت تكاليف الحرب أكثر من ستة مليارات دولار شهرياً، حيث اضطرت إدارة بوش إلى طلب المزيد من الميزانيات الإضافية من الكونغرس لتغطية النفقات المتزايدة لحربها في العراق، وهو ما زاد في العجز في الميزانية السنوية للولايات المتحدة⁷.
- تكاثر الفضائح السياسية والمالية لإدارة بوش الابن، خاصة فيما يتعلق بقضايا وصور التعذيب في سجن أبو غريب وفقدان مصداقية الرئيس بوش وطاقم إدارته (رامسفيلد، ديك تشيني،...)، وقضايا الفساد التي قامت بها القوات الأمريكية في العراق.
- عجز القوات الأمريكية وخسائرها، في ظل تزايد بأس المقاومة الوطنية العراقية كماً ونوعاً والاعتراف الأمريكي بالعجز عن القضاء عليها، وهذا ما أكدته الرئيس العراقي الراحل صدام حسين الذي قال في أول

(7) خير الدين حسيب، العراق من الاحتلال إلى التحرير (طبعة موسعة من «مستقبل العراق»)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006، ص 382-333.

خطاب له بعد اندلاع الحرب: «إن الأمريكيين سوف ينتحرون على أسوار بغداد»⁸.

- زيادة أعباء الإدارة الأمريكية في أفغانستان بزيادة نشاط طالبان.
- يرى معن بشور أن الولايات المتحدة حققت كل ما كانت تسعى إلى تحقيقه في العراق، سواء كان ذلك فيما يتعلق بإزالة نظام صدام حسين، أو إلغاء الخطر الإقليمي العراقي، ووضع حد لطموح العراق في حيازة أسلحة دمار شامل، وغيرها من الأهداف، وبالتالي فالبقاء في العراق من شأنه مضاعفة ثمن هذه المكاسب لتصبح خسائر.⁹
- تيقن القادة الأمريكيين بأن حرب العراق باتت مستعصية بلا حل، في ظل استحالة إيجاد حل عسكري لها، وأن حل مشكلة العراق حل سياسي في أيدي أبنائها.¹⁰
- أن حرب العراق أضرت بمصداقية أمريكا وبأمنها وبأمن أصدقائها في المنطقة وعلى رأسهم إسرائيل، ذلك لأن الحرب قوت جماعات كالقاعدة وأعطت الفرصة لدول كإيران لتطوير برامجها النووية وزيادة دعمها لجماعات مثل حماس وحزب الله.¹¹

(8) فاضل الربيعي، المرجع السابق، ص 151.

(9) معن بشور، «السنوات الأربع التي أسقطت المشروع الإمبراطوري الأمريكي»، في أنتوني كوردسمان وآخرون، الاحتلال الأمريكي للعراق المشهد الأخير، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007، ص 155.

(10) علاء بيومي، باراك أوباما والعالم العربي، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2008، ص 65.

(11) مرجع سابق، ص 69.

وبالتالي فإن كل هذه الأسباب وغيرها، جعل الولايات المتحدة الأمريكية تسرع في توقيع الاتفاقية الأمنية سنة 2008، التي تنص على الانسحاب من العراق لحفظ ما تبقى من مصالحها في المنطقة وهو ما حدث بالفعل، فقد انسحبت الولايات المتحدة من العراق في فترة قصيرة.

2. تداعيات الانسحاب الأمريكي من العراق:

لقد كان للانسحاب من العراق تداعيات خطيرة على الدولتين سواء كان ذلك على العراق، أو على الولايات المتحدة الأمريكية التي رأت فيه مخرجاً لها من المستنقع العراقي، وفيما يلي سيتم التركيز على أهم تداعيات هذا الانسحاب:

- سمح الفراغ الأمني والسياسي الذي خلفه الانسحاب الأمريكي من العراق بتدخل القوى الإقليمية في العراق بشكل مباشر لصالح بعض الفئات السياسية ضد أخرى أو لصالح طائفة معينة ضد أخرى.
- أعاد الانسحاب الدولة العراقية إلى حالة الفوضى وعدم الاستقرار، خاصة وأن الدولة العراقية في تلك الفترة كانت لا تزال تعيش مرحلة انتقالية من حالة الاستعمار المدمر لأسس هذه الدولة إلى مرحلة إعادة بناء الدولة. ففي هذه المرحلة كانت الدولة العراقية بمؤسساتها المختلفة لا تزال طور التأسيس، فكان لابد على القوات المحتلة أن تسعى لتأمين هذه العملية، حتى تستطيع الدولة العراقية إعادة بناء نفسها، إلا أن ما حدث هو أن الولايات المتحدة انسحبت من العراق دون ترك أي ضمانات تساعد العراق على تجاوز مختلف مشاكله السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والتي كانت سببا رئيسيا فيها.

- سيطرة الجماعات الإرهابية على الساحة السياسية والأمنية العراقية، حيث ظهر تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش» نتيجة هذا الفراغ، هذا التنظيم الذي أصبح من أخطر الظواهر والأزمات التي عرفت العراق والمنطقة العربية والإسلامية بصفة عامة.
- شكل الانسحاب فرصة مناسبة لإيران من أجل زيادة نفوذها في المنطقة.

يعتبر العراق أحد أهم الدول في الشرق الأوسط، بناءً على موقعه وتعداد سكانه وثروته النفطية بالإضافة إلى قدرته على إثارة النزاعات الإقليمية عندما يكون على خلاف مع العالم الخارجي، لذلك فالعراق يبقى له أولوية مركزية لدى الولايات المتحدة الأمريكية بالرغم من انسحاب قواتها منه.¹²

IV - تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش» - دراسة إسقاطية حول تداعيات الاحتلال والانسحاب الأمريكي من العراق-

إن قيام تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام كان من أهم تداعيات التواجد الأمريكي في العراق، وكذا انسحابه، بالتالي سيتم التركيز على هذه النقطة في هذه الورقة البحثية، ذلك أن العراق يعاني أشد المعاناة من هذه الآفة الخطيرة التي تعصف بأمنه واستقراره.

(12) نور العظمة، «إدارة أوباما الثانية والشرق الأوسط الأهداف الاستراتيجية لسياسة الولايات المتحدة»، ضفاف، د.ع، 2015، ص 83.

لقد دار خلاف كبير داخل الإدارة الأمريكية من ناحية، وبين الباحثين من ناحية أخرى حول سبب تدهور الأوضاع في العراق التي أدت إلى بروز هذا التنظيم، حيث أن هناك فريقاً يرجع هذا التدهور إلى سياسات الرئيس بوش الابن، وفريقاً آخر يتهم الرئيس أوباما بظهور "داعش". وفيما يلي سيتم تحليل الرأيين، وتوضيح أسباب تدهور الأوضاع في العراق وظهور هذا التنظيم.

1- التضارب القائم داخل الإدارة الأمريكية حول تدهور الأوضاع في العراق:

يحمل بعض قادة الحزب الجمهوري، ومنهم مرشح الرئاسة جيب بوش، إدارة أوباما مسؤولية ما آلت إليه الأمور في العراق لأنها لم تعمل على إبقاء قوات أمريكية في هذا البلد، وبدلاً من ذلك سحبت كامل قواتها، ويرد الديمقراطيون عادةً بالقول أن ما حصل كان نتيجة خطأ إدارة بوش في اتخاذ قرار الحرب في العراق؛ فقبل تلك الحرب لم تكن هناك تنظيمات جهادية وإرهابية في هذا البلد، والتدخل الأمريكي هو الذي استدريج تلك التنظيمات.¹³

أولاً: بالنسبة للذين يحملون إدارة بوش الابن مسؤولية ما آلت إليه العراق، فهم ينطلقون من كون هذه الإدارة كانت تعتمد على سياسات تمهد الظروف لانتشار التنظيم إلى مناطق أخرى، فاحتلالها العراق صنع بيئة مواتية

(13) حارث حسن، «السياسة الأمريكية تجاه تنظيم «داعش»»، سياسات عربية، العدد 16، سبتمبر 2015، ص 32.

لظهور تنظيم التوحيد والجهاد الذي أعلن ارتباطه بتنظيم القاعدة، وقد حصل هذا الشيء بفعل ثلاثة عوامل أساسية تتمثل فيما يلي:¹⁴

1- أن احتلال الولايات المتحدة لبلد رئيسي في العالمين العربي والإسلامي عمق المشاعر المعادية لها في أوساط العرب والمسلمين، وأنعش العقيدة الجهادية التي تركز الصراع مع الغرب وتعد مواجهة الهيمنة الغربية جزءاً رئيساً من مشروعها لإحياء الأمة الإسلامية.

2- أن احتلال العراق أحدث تغييراً كبيراً في الموازين الجيوسياسية في المنطقة، وأطلق حروب الوكالة بين القوى الإقليمية الرئيسة التي سعت لملء الفراغ أو لحماية نفسها من الآثار الناجمة عن هذا الاحتلال.

3- أحد الآثار المهمة للاحتلال كان احتدام الصراع الطائفي، السني- الشيعي، في المنطقة، وهو صراع خلق بيئة مثالية للتيارات الأكثر تطرفاً في القاعدة لكي تصنع موطئ قدم وتكتسب شرعية جديدة.

هذا بالإضافة إلى أن إدارة بوش الابن اعتمدت على مجموعة من السياسات التي هدمت أسس الدولة العراقية، الأمر الذي جعل هذه الدولة قبلة أمام مختلف الجماعات الإرهابية بسبب التوتر و اللا أمن الذي عرفته العراق في تلك المرحلة. هذا الأمر الذي حذر منه العديد من الباحثين والسياسيين من أمثال ناعوم تشومسكي الذي كان يرى في هذا الاحتلال سبباً رئيسياً لانتشار الإرهاب وليس لمكافحته، حيث يقول ناعوم تشومسكي في كتابه "الدول الفاشلة: إساءة استعمال القوة والتعدي على الديمقراطية": "كان المخططون الأمريكيون والبريطانيون على دراية تامة من أن اجتياح

(14) مرجع سابق، ص 34.

العراق سيفضي على الأرجح إلى إلهاب جذوة الإرهاب وزيادة انتشار أسلحة الدمار الشامل، تماماً مثلما حذر العديد من المحللين ووكالات الاستخبارات. فقد أبلغ مدير السي آي إيه، جورج تنيت، الكونغرس في أكتوبر 2002 أن غزو العراق قد يدفع صدام حسين إلى مؤازرة الإرهابيين الإسلاميين في شن هجوم بأسلحة الدمار الشامل على الولايات المتحدة". ورأى مجلس الأمن القومي، من جانبه، بأن غزو العراق بقيادة الولايات المتحدة سوف يضاعف من التأييد للإسلام السياسي، وسيتمخض عنه مجتمع عراقي منقسم بعمق على نفسه وميال إلى التناحر الداخلي العنيف"، مما سيتولد عنه إرهاب داخل العراق وفي العالم كله. وقد عاود مجلس الأمن نفس التكهّنات في ديسمبر 2004، حيث رأى بأن العراق بمختلف النزاعات المحتملة الأخرى في المستقبل يمكن أن تؤمن التجنيد، وحقل التدريب والمهارات التقنية والبراعة اللغوية لطبقة جديدة من الإرهابيين من ذوي "الحرفية" العالية، الذين يصبح الإرهاب السياسي بالنسبة إليهم غاية في حد ذاته. كما تنبأ مجلس الأمن القومي بأنه ونتيجة للغزو، ستقوم هذه الجماعات الإسلامية المتطرفة المنتشرة بمد نطاق عملياتها إلى أماكن أخرى، فالعراق أصبح بمثابة مركز جذب لهذه الفئات المقاتلة كما جاء في تقرير سي آي إيه ماي 2005.¹⁵ أما مدلين أولبرايت فقد رأت بأن غزو العراق كان يهدف إلى إظهار القدرة الأمريكية، وأثبت بدلاً من ذلك حدود تلك القدرة. فقد ذهب الرئيس بوش الابن إلى الحرب لأنه يعتقد أن القيام بذلك ضروري للحفاظ على سلامة أمريكا، وأن غزوه للعراق يمثل مسؤولية أخلاقية في مساعدة العراق على أن يصبح ديمقراطية مسالمة

(15) نعوم تشومسكي، الدول الفاشلة: إساءة استعمال القوة والتعدي على الديمقراطية، ترجمة: سامي الكعكي، بيروت: دار الكتاب العربي، 2007، ص 28.

وعقلانية. بالغ الرئيس بوش في المخاطر التي تشكلها الحكومة العراقية والمنافع التي يحققها إقصاء صدام حسين، والأدهى من ذلك أنه وعد القوات الأمريكية بنقلص التهديد الإرهابي لأمريكا والعالم لحظة نزع سلاح صدام حسين، إلا أنه تبين العكس، فالغزو والاحتلال زادا ذلك الخط.¹⁶

إن الغزو الأمريكي للعراق 2003 الذي أدى إلى حل الجيش العراقي -الذي كان من أقوى جيوش المنطقة-، ترتب عنه فيما بعد ظهور تنظيم الدولة الإسلامية بتشجيع من أمريكا، أو حتى بالاكفاء بغض الطرف عن ظهورها لأسباب تخدم الإستراتيجية الأمريكية الساعية إلى إشعال حرب أهلية تحققت فعلاً في العراق، ومن ذلك أيضاً إذكاء الحرب في سوريا وفي دول عربية أخرى من أجل الوصول إلى تحقيق إستراتيجيتها الساعية لإيجاد شرق أوسط جديد يخدم مصالحها.¹⁷

ثانياً: أما بالنسبة للفريق الثاني الذي يحمل إدارة أوباما مسؤولية ما حدث في العراق، فينطلق من فكرة أن أوباما ركز على سحب القوات الأمريكية دون التفكير في المسؤولية الأمريكية عما جرى للشعب العراقي والعراق من وراء الحرب التي شنتها الإدارة الأمريكية، فالمفروض أن تقوم إدارة أوباما بالبحث عن مخرج يعوض العراقيين عما تحملوه من وراء الحرب وليس ترك الشعب العراقي يتحمل تكلفة ما خربته الولايات

(16) مدلين أولبرايت، بيل ودو ورد، الجبروت والجبار: تأملات في السلطة، والدين، والشؤون الدولية، ترجمة: عمر الأيوبي، لبنان: الدار العربية للعلوم - ناشرون ش.م.ل، 2007.

(17) ميشل حنا الحاج، الشرق الأوسط الجديد: سياسات واستراتيجيات، مصر: المكتب العربي للمعارف، 2016، ص 41.

المتحدة،¹⁸ وفي هذا الصدد يقول السفير الأمريكي السابق في العراق جيمس جيفري أنه: "غالباً ما يُلقى اللوم في النجاح الباهر الذي حققه تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» «داعش»، أو «الدولة الإسلامية» - الذي كان يُدعى سابقاً «تنظيم القاعدة في العراق» - في أوائل 2014 على فشل إدارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما في تأمين وجود للقوات الأمريكية في العراق بعد عام 2011. وكسفير سابق للولايات المتحدة في العراق في الفترة 2010-2012، كنت أعتقد أن بقاء القوات في العراق كان أمراً بالغ الأهمية..."¹⁹

فمع خروج القوات الأمريكية من العراق في 2011 انزلق العراق تحت سيطرة حكومة المالكي إلى أنماط من تهميش الطائفة السنية، وشمل ذلك منع السنة من المشاركة في المؤسسات السياسية واستبعادهم من المناصب الإدارية العامة، واتهم المالكي باستمرار عمليات الخطف والقتل من قادة المجتمع السياسي والقبلي والمدني من السنة، وكانت هناك أيضاً اتهامات بأن الحكومة أهملت الكثير من تطوير البنية التحتية اللازمة في المحافظات ذات الغالبية العربية السنية، لذلك خرجت سلسلة من التظاهرات المدنية والاعتصام عبر المناطق التي يهيمن عليها السنة في البلاد مثل كركوك، صلاح الدين ونيوى في عام 2012، لتشن عليهم الحكومة حملات

(18) علاء بيومي، المرجع السابق، ص 70.

(19) جيمس جيفري، «ما وراء الانسحاب الأمريكي من العراق»، تم تصفح الموقع يوم 14/02/2017 على الساعة 10:30:

<http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/behind-the-u.s.-withdrawal-from-iraq>

تطهيرية، وهو ما سمح لداعش من الاستفادة من إحباط السكان والسيطرة على مناطق حيوية، بما في ذلك مدن مثل الفلوجة والرمادي.²⁰

في هذا الوقت الذي تزايد فيه خطر داعش، كان الجدل داخل الإدارة الأمريكية بين الجمهوريين الذين يصرون على أن فشل الرئيس أوباما في إبقاء قوات أمريكية في العراق خلق فراغاً استفاد منه التنظيم، كما أنه رفع الضغط عن رئيس الوزراء العراقي السابق نوري المالكي الذي شعر أنه لم يعد ملزماً باعتماد سياسة لبناء الثقة ودمج العرب السنة في النظام السياسي، بل إنه اتجه بعد الانسحاب الأمريكي إلى اعتماد إجراءات تسلطية ومنفردة وملاحقة زعماء من العرب السنة، كما قام بتوطيد علاقاته مع إيران. في حين يجادل الديمقراطيون بأن المشكلة تكمن أساساً في قرار الحرب في العراق وليس الانسحاب من هذا البلد؛ فتلك الحرب جلبت التنظيمات الجهادية إلى هناك.²¹

2- نشأة وتطور التنظيم:

جاء تأسيس تنظيم «الدولة الإسلامية في بلاد العراق والشام» والذي اشتهر إعلامياً باسم (داعش) في خط تراكمي تمثل تدريجياً بإعلان أبو مصعب الزرقاوي تأسيس جماعة «التوحيد والجهاد في بلاد الرافدين». ومن ثمّ قام الزرقاوي بمبايعة (أسامة بن لادن) وأعلن عن قيام «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين»، يلي ذلك الإعلان عن «دولة العراق

(20) لهيب هيغل، «أزمة النزوح في العراق: الأمن والحماية»، تقرير مركز سيفايير لحقوق المدنيين والمجموعة الدولية لحقوق الأقليات، مارس 2016، ص 09.

(21) حارث حسن، المرجع السابق، ص 35.

الإسلامية»²²، والتي تم الإعلان عنها لأول مرة في العراق في 15 أكتوبر 2006، واتخذت من الأنبار عاصمة لها، وهو ما جعل الولايات المتحدة تلجأ لما تم إطلاق عليه «مجالس الصحوة» لمواجهة تنظيم القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية. هذه الإستراتيجية التي كانت ناجحة نوعاً ما في مكافحة الإرهاب، حيث ظل هذا التنظيم في تراجع كبير خلال عامي 2008 و2009 بفعل مجالس الصحوات التي ظهرت بين عامي 2006 و2007، أي خلال الفترة التي حصلت خلالها المجازر ضد أهل السنة من قبل الميليشيات المسلحة الطائفية، وبدعم من حكومة المالكي وملاي طهران في بعض المدن والبلدات العراقية. ومع انقلاب الحكومة العراقية على السنة والصحوات واستهدافهم والتضييق عليهم بعلم من الولايات المتحدة، ساعد ذلك في عودة تنظيم الدولة الإسلامية، وبذلك كانت عودة تنظيم الدولة بشكل رسمي في عام 2013 بعد محاولات إفشال قوات المالكي اعتصام الأنبار في نفس السنة، وبذلك قضت حكومة المالكي بمساعدة ملاي طهران على الصحوات وأحييت داعش، التي أخذت تتوسع في العراق²³ وأعلنت عن الاندماج بين عدد من المجموعات السلفية الجهادية مثل جيش الفاتحين، وجند الصحابة، وكتائب أنصار التوحيد والسنة.

عاد التنظيم مرة أخرى إلى الواجهة بعد اندلاع الأزمة السورية بفترة ليغير اسمه إلى «الدولة الإسلامية في الشام والعراق» تحت إمرة (أبو بكر البغدادي) الذي نصّب نفسه خليفةً للمسلمين فيما بعد، تلى هذا الإعلان

(22) أوراق سياسية، «تنظيم الدولة... النشأة والأفكار، مركز صناعة الفكر»، تم تصفح الموقع يوم 19/02/2017، على الساعة 22:03:

http://www.fikercenter.com/ar/p/political_analysis/view/a6zaxn3

(23) عماد محمد ذياب الحفيظ، الإرهاب بين المفهوم واللا معلوم، عمان: الدار المنهجية للنشر والتوزيع، 2014، ص 82.

خلاف بين التنظيم الأم (تنظيم القاعدة) وبين التنظيم الفتى أقصى إلى مواجهة بالسلح بين تنظيم النصره التابع لتنظيم القاعدة وبين «داعش» في سوريا بعدما أعلن (أيمن الظواهرى) تبرأه من تنظيم «داعش»، واستطاع تنظيم «داعش» أن ييسط سيطرته على مناطق شاسعة من العراق وسوريا ليعلن بعده عن قيام «الدولة الإسلامية» وتنصيب (أبو بكر البغدادي) خليفة للمسلمين.

3- سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه "داعش":

بالرغم من أن الاتفاقية الأمنية تفرض على الولايات المتحدة الأمريكية بعض الالتزامات الأمنية للحفاظ على استقرار العراق، إلا أنها وقفت متفرجة أمام التغيرات التي كان يشهدها تنظيم الدولة الإسلامية. فبالرغم من تشكيل تحالف دولي للتصدي لهذا التنظيم إلا أن ذلك لم يكن بشكل جدي، حيث اكتفت قوات التحالف بتوجيه ضربات جوية محدودة لهذا التنظيم، لأن هذا التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية ضد داعش ليس هدفه تحرير العراق الذي أغرقته في هذه الدوامة بل حماية مصالحها في المنطقة.

وعلى هذا الأساس، أكد الرئيس أوباما على أن القوات الأمريكية مستعدة لإعادة الانتشار في العراق في حالة حدوث حرب أهلية أو مأزق أممي، وذلك بناء على طلب من العراقيين، وبهذا يحافظ أوباما على قدر من التواصل مع الشعب والثقة في الحكومة العراقية التي يلقي عليها أوباما قدراً من المسؤولية في تردي أوضاع العراق.²⁴ ولكن بمجرد بروز تنظيم الدولة الإسلامية في العراق، عملت إدارة أوباما على تشكيل تحالف دولي

(24) علاء بيومي، المرجع السابق، ص 66.

يعتمد على الضربات الجوية فقط كي لا تتورط في مواجهات برية جديدة تكون مكلفة، وهذا ما نصت عليه إستراتيجية الأمن القومي التي صدرت في 5 فيفري 2015، حيث تضمنت تأكيد التزام الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة تحالفات دولية لمواجهة التحديات الكبيرة الناشئة عن العدوان والإرهاب»، وقد أشارت وثيقة إستراتيجية الأمن القومي إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية تخلت عن النموذج القائم على الانغماس في الحروب البرية المكلفة و واسعة النطاق في العراق وأفغانستان، والتي تحملت فيها القوات الأمريكية أعباء هائلة،²⁵ وبالتالي فالإدارة الأمريكية اعتمدت على سياسة «الاحتواء» تجاه تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، وهو خيار ينسجم مع أولويات أوباما في السياسة الخارجية التي كان الانسحاب من العراق أهم عناصرها؛ فالرئيس أوباما وجد في حرب العراق التي صنفها باعتبارها «حرب اختيار» لا «حرب ضرورة» نموذجاً لسياسة خارجية غير واقعية ومضرة بالمصالح الأمريكية على المدى البعيد بسبب تكلفتها العالية، وفرضها أولويات مصطنعة على الحكومة الأمريكية، وبهذا يكون خيار الاحتواء خياراً وسطياً يدعم المبادئ التي اعتمدتها إدارة أوباما والتي تتمثل في تجنب الدخول في حروب مكلفة تضر بمصالحها.²⁶

في الأخير، ما يمكن ملاحظته هو أنه بالرغم من أن الولايات المتحدة لم تر في تنظيم الدولة الإسلامية في العراق تهديداً لأمنها في الفترة الراهنة، إلا أن الواقع يثبت أن هذا التنظيم سوف يهدد أمنها ومصالحها على المدى البعيد إذا لم يتم الحد من تنامي حجم نشاطه، خاصة وأنه لم يتوقف على الأراضي العراقية والسورية فقط بل امتد إلى كل أنحاء العالم، فشملت

(25) حارث حسن، المرجع السابق، ص 29.

(26) مرجع سابق، ص 31.

بعض عملياته الانتحارية كلا من ليبيا و تونس وفرنسا ولبنان ومصر والسعودية، إلى أن وصل إلى أمريكا عام 2015م، حيث تم تنفيذ عملية انتحارية في مدينة «برناردينو» إحدى مدن ولاية كاليفورنيا،²⁷ وهو ما يثبت أن هذا التنظيم الذي صنعه الولايات المتحدة بإستراتيجياتها المتبعة في المنطقة أصبح خطراً حتى عليها، إلا أن الولايات المتحدة ترى في داعش فرصة كبيرة للولايات المتحدة الأمريكية للعودة إلى العراق وإقامة شراكة إستراتيجية مع الحكومة العراقية والقوات المسلحة العراقية التي قامت الولايات المتحدة بدور كبير في تشكيلها وهيكلتها وتدريبها وتسليحها بعد احتلال العراق، من أجل الحد من النفوذ الإيراني.²⁸

(27) ميشل حنا الحاج، المرجع السابق، ص 400.

(28) حارث حسن، المرجع السابق، ص 38.

خاتمة

ما يمكن تسجيله في ختام هذا الموضوع هو أن ما حدث في العراق لم يكن خطأ إستراتيجيا بقدر ما كان نتيجة لتخطيط طويل لأجل تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الجديد بحسب الرؤية الأمريكية، فكانت البداية باحتلال العراق تدميره بشكل كامل، كخطوة أولية لتفتيت بقية دول المنطقة وجعلها تغرق في حالة من الفوضى واللا استقرار، وهو ما حدث بالفعل خاصة مع سوريا التي أصبحت غارقة في حرب أهلية لا نهاية لها.

أدى الانسحاب الأمريكي من العراق الذي جاء نتيجة لمجموعة من الظروف والضغوط التي أجبرت الإدارة الأمريكية عليه، إلى تدعيم انتشار الحركات الإرهابية-تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام-، هذه الأخيرة التي أوجدها الاحتلال وسياساته المطبقة في المنطقة.

إن الانسحاب يحفظ للولايات المتحدة من إعلان الهزيمة السياسية والعسكرية في العراق، كما أن هذا الخروج كان ظاهرياً بمعنى أن التواجد الأمريكي في المنطقة مازال قائماً خاصة من خلال تواجدها بدعوى مكافحة الإرهاب، لكن تواجدها هذه المرة جاء بشكل شرعي في إطار تحالف دولي يجنبها تكاليف الحرب المرهقة، حيث اكتفت بسياسة احتواء هذا التنظيم عن طريق توجيه ضربات جوية، مع عدم مشاركة قواتها البرية في مواجهات مباشرة مع "داعش"، وهو ما يجنبها الخسائر المادية والبشرية التي كانت قد تحملتها أثناء احتلالها للعراق.

منح تنظيم داعش للولايات المتحدة الأمريكية مجموعة من المزايا خاصة فيما يتعلق بزيادة قواعدها العسكرية في المنطقة التي تسمح لها بالتحرك الجوي والبري بشكل دائم وفي أي لحظة ضد أي دولة تهدد مصالحها، كما أن هذا التنظيم أتاح لها فرصة تقليص نفوذ إيران الذي تزايد في المنطقة بعد الاحتلال، هذا بالإضافة إلى أنه يمكن أن تستفيد منه لتتخلص من أية حكومة لا ترضى عنها.